العرب
الثلاثاء 2021/08/10
السنة 44 العدد 12144

سقوط الحاضنة الشعبية للإسلام السياسي

محمد خلفان الصوافي
كاتب إماراتي

أعظم الكوارث السياسية التي حلّت بعالمنا العربي لم يتسبب فيها أو يقم بها متربصون به من خارج الحدود، بل حدثت جراء مؤامرات من الداخل، ربما لأن الحكومات العربية أخذت الحذر من العدو الخارجي فقط، رغم أن الشاعر العربي الذي طالبنا بالحذر من العدو مرةً واحدة، طالبنا بواجب الحذر من الصديق – غير الصدوق – ألف مرة. ولدى الشاعر مبرراته وهي مبررات واقعية خاصة عندما يتعلق الأمر بإلحاق ضرر بالصديق.

المصائب العظيمة التي لحقت بالدول العربية منذ ثلاثينات القرن الماضي إلى وقتنا الحاضر ارتكبها بشر ينتمون إلى الدول العربية نفسها، بينما يخضعون فكرياً وعقائدياً لأوامر من مرجعياتهم التي تجلس خارج حدود العالم العربي وتقودهم إلى خدمة مشروعاتها السياسية. كان هؤلاء ولا زالوا ينفذون الأوامر التي تأتيهم من تلك المرجعيات للقيام بعمليات اغتيال، أو إدخال الوطن في صراعات لا علاقة له بها. يتم كل ذلك دون شعور بأي ندم أو ذنب، فالمهم هو إرضاء المرشد الإخواني الموجود في إسطنبول، أو الولي الفقيه القابع في طهران.

بعد ذلك يطلقون على من يرتكب تلك الأفعال الدنيئة اسم مقاوم أو مناضل، ليس لأنه قام بتحرير الوطن أو الحفاظ على سيادته، بل لأنه خدم عقيدتهم وجماعتهم الضالة المخربة. وهم يحيكون مؤامراتهم ويتخذون قراراتهم التي تتجاوز السيادة الوطنية في غرف مغلقة مظلمة، بعيداً عن قيادات الوطن ومصالحه، لذلك لا يهم إن أدى ذلك إلى كوارث أو مصائب، فالشيء المقدس لديهم هو تنفيذ أوامر المرشد.

أما من يدافع عن الدولة والوطن فهو في نظرهم عميل، وصهيوني وخائن، وفي أغلب الأحيان يكون هدفاً للاغتيال والتصفية. هذا واقع تيارات الإسلام السياسي، بنسختيه السنية والشيعية، التي ابتليت بها البلاد العربية.

تقديس الأجندات العابرة للحدود هو ما حجب عن زعيم حزب الله اللبناني حسن نصرالله أن يدرك أنه أحدث صدمة مجتمعية كبيرة، ليس فقط في أوساط الشعب اللبناني، بل لدى كل المواطنين العرب عندما قال "إن لبنان جزء من إيران" وكأنه يذكرنا بتلك المقولة التي أطلقها مهدي عاكف مرشد الإخوان قائلا "طز في مصر.. الجماعة فوق الجميع".

نصرالله، بفعلته هذه، كان أكثرهم حماقة عندما أعلن عما تفكر فيه تيارات الإسلام السياسي. هو وأمثاله ممن يوالون إيران أو يقدمون الولاء والطاعة للمرشد الإخواني والسلطان ما زالوا متوهمين أنهم أيقونات يقودون الشعب العربي الذي استفاق من غفوته وأدرك بلاويهم ومصائبهم وما يقترفونه ضد الوطن، وباتوا لا يرون فيهم إلا مجرد أذناب وعبيد يخضعون لمن يستخدمهم.

التوافق، وإن لم يحدث بتخطيط مسبق بين حزب النهضة التونسي وبين حزب الله اللبناني، من حيث الزمن في التعبير عن أن الانشغال بالوضع الداخلي للمواطن التونسي والمواطن اللبناني من أزمات، لا يلزم هذه الأحزاب وأصحاب هذا التيار حتى لو أدى إلى انقسام المجتمع، ذلك لأن مشروعاتهم العابرة للحدود أبعد وأكبر بكثير مما يعاني منه المواطنون في البلدين ومن مطالبهم.

لم يتوقع راشد الغنوشي ونصرالله، ممثلا تيار الإسلام السياسي اليوم في العالم العربي، ردة الفعل الشعبية هذه، رغم أن هناك دروسا وعبرا نبهت إلى أن الشعارات والأيديولوجيات لم تعد تخدع الشعوب، وما على المعتادين على "الفهلوة السياسية" إلا أن يقرأوا ما يحدث لأخذ العبر، حتى لا يقعوا ثانية في التجربة الخطأ، إلا أن ذكاءهم السياسي لم يسعفهم.

لقد تمكنوا في فترة من الفترات من إحداث ثقوب في الذاكرة الجمعية للشعوب العربية بفعل الشعارات الدينية والفكرية التي وصلت بهم حدا اعتبروا فيه الدفاع عن الوطن أمراً تافهاً مقابل المشروع العقائدي الذي يتعدى الوطن. لقد نجحوا في أن يوهموا ويحرضوا الإنسان العربي على قتال عدو غير حقيقي لأنه معروف وواضح، بينما العدو الحقيقي الذي يستغله خدمة لأجندات أخرى، قابع في الداخل، وهو أكثر فظاعة وأشد تدميرا.

أصحاب هذه التيارات نجحوا أيضا في أن يلغوا في المجتمع بأكمله الإحساس بالذنب عن تدمير الحياة بذريعة أن ما يفعلونه هو نضال ومقاومة. هذا ما يحدث اليوم في جنوب لبنان وفق مقتضيات المفاوضات الإيرانية مع الغرب، أو ما يحدث في العراق الذي تريده إيران دولة مستباحة، وما يحدث في غزة التي تتفنن في تخريب أي محاولة لتوحيد الصف الفلسطيني والعربي في مواجهة الاستيطان الإسرائيلي.

من تابع خلال الأيام القليلة الماضية الغنوشي وهو يحرض المجتمع الدولي ضد بلاده حماية للديمقراطية، تلك الشماعة التي استخدمت لخداع التونسيين، وتابع نصرالله وهو ينادي بالمقاومة، يعتقد أن همهما هو الحفاظ على الدول العربية، إلا من يدرك سيرتهما ومن يدور في فلكهما يعلم أنهما سبب كل المتاعب التي تعيشها الدول العربية. الفكرتان أو الأيديولوجيتان، بحكم الوظيفة السياسية، تعملان على تدمير الوطن وتمزيق المجتمعات الإنسانية، دون أن يرف للمتسببين بها جفن أو تسقط لهم دمعة. والمضحك المبكي في كل هذا أنهم يتفاخرون بما يفعلون.

اليوم باتت الشعوب العربية ترى أن هذين التيارين أكثر سوءا من إسرائيل فهي عدو صريح وواضح، نأخذ حذرنا منه ونحتاط. بينما إيران وتركيا اللتان تستغلان هذين التيارين أكثر خطراً من إسرائيل، فهما الصديق غير الصدوق للعرب، شرهما عظيم ومصائبهما أعظم. التياران انكشفا خلال عقد من الزمن، لذلك قررت الشعوب العربية التخلص منهما ومن يقف وراءهما، وقررت أن تدعم حكوماتها الوطنية لاستعادة الدولة، كما يحدث في تونس اليوم، حيث وقف الشعب التونسي مؤيدا لقرارات قيس سعيّد. أو كما فعل اللبنانيون عندما أوقفوا شاحنة تابعة لحزب الله تحمل صواريخ معدة للإطلاق ضد إسرائيل تلبية لحسابات سياسية لا علاقة للبنان بها.

إن الأذى الذي لحق بالدول العربية بفعل تيارات الإسلام السياسي كبير جداً، فهو من حيث طول المدة يتجاوز ثمانية عقود، ومن حيث النتائج الكارثية تسبب وارتكب من الكوارث ما لم يتسبب به ويرتكبه محتل غربي يوما.

الفسادُ جُبّة مقتدى الصدر وعمامته

علي الصراف
كاتب عراقي

ذكّرتني اللافتة العريضة التي يظهر فيها مقتدى الصدر بثلاثة أرباع قامته مع شعار "البنيان المرصوص" من حول خارطة العراق بشيء من طفولتي.

فقد أراد والدي أن يختبر قدرة ابن الثالث الابتدائي على الكتابة، فشاء أن يُملي عليّ رسالة إلى أبناء أخته، ليضعها لهم بالبريد.

كان يُملي، وأنا أكتب، إلى أن جاءت جملةٌ يطلب فيها منهم أن يكونوا كالبنيان المرصوص. وتساءلت في نفسي، ما معنى هذا الطلب؟ فهي بحسب ما سمعته وبحسب قدراتي في الفهم كانت "كلبٌ يان المرصوص". ولكي لا أحرج نفسي معه ومع أبناء عمتي، فلم أكتبها، وأبقيتُ الجملةَ ناقصة، حتى انتهيت من الرسالة. فإذا بأبي يريد أن أعيد قراءتها عليه. فتصببتُ عرقا خوفا من أن لا أعثر على الموضع الصحيح لذلك الكلب يان الذي تركته في مكان غير مرصوص. ولكن ذاكرة الخوف هي التي أسعفتني، فلما وصلت إلى الجملة العتيدة، كررتُ شفاها عبارته التي يطلب فيها من أبناء أخته أن يكونوا "كلبٌ يان المرصوص". وانقضتْ المحنةُ عندما طويت الرسالة، ووضعتها في ظرف، وأغلقته بلسان يُسيل ضعف اللّعاب المطلوب، لكي لا يفتحها فيقرأ ما لم أكتب. فالعبارة تلك مما لا يُنسى، وهو لن يغفل عنها بكل تأكيد.

ولا شيء في عراق اليوم كالبنيان المرصوص. وواحدٌ ممن يجعلونه خرقا ممزقة هو مقتدى الصدر نفسه، مع باقي أطراف العصابات الطائفية التي تهيمن عليه.

ولبيت الصدر إرثٌ في سياسات التمزيق يمتد إلى جده محمد صادق الصدر الذي يُعتقد أنه كان على ارتباط وثيق بالاستعمار البريطاني في مواجهة الحركة الوطنية العراقية الداعية إلى الاستقلال.

ولقد تهدم بنيانُ العراق منذ أن جاءت إلى السلطة فيه كل تلك "الأورطة" الطائفية من الأحزاب والجماعات الموالية لإيران. وهي جماعاتٌ حاربت ضد العراق، وحاربت شعبه، وحاربت ضد بعضها، حتى كان لمقتدى الصدر الكثير من هذا النصيب. ومنها أن يده ملوثة بدم عبدالمجيد الخوئي، وهي بليّة ما تزال تلاحقه. ومنها أنه مسؤول عن تأجيج الحرب الطائفية عندما غزتْ غربانُه جوامعَ السنة لتحرقها وتقتل مَنْ فيها ردا على التفجير الذي نفذته عصاباتٌ ترتبط بإيران نفسها ضد مرقد الإمامين الحسن العسكري وعلي الهادي في سامراء في العام 2006.

منذ ذلك الوقت لم يعد هناك من شيءٍ مرصوص في العراق لا في دولته التي تحولت إلى نهبٍ لكل أفّاق ونهّاب ولا في مجتمعه الذي غرق في الفقر والحرمان

ومنذ ذلك الوقت، لم يعد هناك من شيءٍ مرصوص في العراق، لا في دولته التي تحولت إلى نهب لكل أفّاق ونهّاب، ولا في مجتمعه الذي غرق في الفقر والحرمان. ومثلما أصبح حشدُ الغلمان هو جيشه، فقد أصبح الفسادُ هو جُبّته وعمامته. والشعار الذي صار يتعين أن يعلو قامة صُنّاع الخراب، يُعرّفهم ويتعرفون به، هو ما خشي ابن الثالث الابتدائي أن يكتبه، فكتبوه!

حتى لا ينتهي الحال بالعراق إلى سيادة فيطي

عبداللطيف الهجول
إعلامي عراقي

المتابع لمراسم تنصيب الرئيس الإيراني الجديد إبراهيم رئيسي لا بد أن يلاحظ حجم القوة الإيرانية الخطيرة التي تنتهك سيادة العراق، متى شاءت وأرادت. لم يعد لدى النظام الإيراني منذ سقوط النظام العراقي السابق غير إهانة العراق بسبب الحرب العراقية – الإيرانية التي راح ضحيتها الملايين من الطرفين بسبب رعونة قادة البلدين آنذاك.

الحكومة العراقية مطالبة بإظهار جدية أكبر في التعامل مع تجاوزات دول مثل إيران وتركيا. لا يقبل أن تصدر عنهما مثل تلك الإساءات دون أن تتصدى لها وزارة الخارجية العراقية

لا يمكن نكران أن العراق اليوم بات يشكل ساحة لتصفية النفايات الإيرانية، حيث يقوم النظام الإيراني برمي كل مشاكله مع الدول الأخرى في العراق، وهذا يبدو جليا في وجود قادة ميليشيات وشخصيات لم تكلف رسميا من الحكومة العراقية حاضرة في حفل تنصيب الرئيسي الإيراني. وهؤلاء عادة لا عمل لهم سوى إدارة النفايات الإيرانية في العراق، مؤكدين ولاءهم في كل لحظة لطهران.

إيران ومعها تركيا، الدولتان اللتان تنتهكان سيادة العراق، لا تهتمان إلا بتوسيع نفوذهما والاستيلاء على الأرضي العراقية، سواء من خلال وكلائهما أو باستخدام جيوشهما. وهذا ما بدا واضحا من خلال استعراض الحشد الشعبي قبل أقل من شهرين في معسكر أشرف الذي كان مقرا للمعارضة الإيرانية، منظمة مجاهدي خلق. ويرافق ذلك احتلال تركي لشمال العراق بحجة محاربة حزب العمال الكردستاني التركي المدعوم سريا من إيران.

الأمر بات جليا أن كلتا الدولتين لا تحترم السيادة العراقية، حيث تصر إيران على استخدام علم إقليم كردستان العراق، ضاربة عرض الحائط بحقيقة أن إقليم كردستان العراقي جزء من دولة العراق، وفي الوقت نفسه توجه رسالة لحلفائها في كردستان العراق إننا معكم، ونتوقع منكم أن تكونوا معنا، في الانتخابات المقبلة.

ورغم أن المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية سعيد خطيب زادة وصف استخدام علم إقليم كردستان العراق خلال حفل استقبال لرئيس الإقليم نيجيرفان البارزاني دون رفع علم الدولة العراقية بأنه "خطأ ارتكب من قبل الفريق التنفيذي للاستقبال"، وقال إن إيران تحترم وحدة أراضي العراق.

واضح أن العذر غير منطقي، لأن خطأ مثل هذا نتوقع أن يصدر عن دول لا تعرف الكثير عن العراق، مثل النيجر أو جزر ساموا، وليس عن دولة جارة تعرف كل صغيرة وكبيرة عن العراق. التفسير الوحيد الممكن لذلك أنها أرادت بذلك تمرير رسالة مفادها أنها لن تتخلى عن حلفائها التقليديين مهما تغيرت الظروف، وأن النفوذ الإيراني لا يتقهقر في كل المناطق والأقاليم التي تتواجد فيها.

العراق أصبح بحاجة إلى إظهار جدية أكبر في التعامل مع تجاوزات دول مثل إيران وتركيا، فليس من المعقول أن تحدث مثل هذه الإساءات دون أن تتصدى لها وزارة الخارجية العراقية.

يحدث هذا بحكم سيطرة الحزب الديمقراطي الكردستاني على هذه الوزارة التي يشغلها حاليا فؤاد حسين الذي كان يعمل رئيسا لديوان رئاسة إقليم كردستان العراق، وهذا ما يؤكد أن العراق لا يزال في دوامة الطائفية.

قد تكون المظاهر الطائفية خفّت بعض الشيء أو انتفت كليا من الشارع العراقي بفعل الاحتجاجات العراقية التي انطلقت في أكتوبر 2019، ولكن الساسة العراقيين لا يزالون يمارسونها في كل تشكيل وزاري جديد، فالاختيار لا يتم على أساس وطني، وهذا ما جعل العراق مخترقا ويسهل التدخل في شؤونه الداخلية من قبل دول الجوار.

ما نحتاجه في المستقبل القريب هو "أكتوبر" آخر أقوى من السابق، يفجر ثورة عراقية صرفة هدفها الوحيد بناء دولة قوية مبنية على أساس مدني تصون كرامة الجميع وتكون ندا لجميع الدول، وتستطيع أن توقف تدخل دول مثل إيران وتركيا في شؤونه الداخلية، ووضع مصلحة العراق فوق كل اعتبار. حتى لا تكون سيادة الدولة العراقية سيادة فيطي (سيادة فاشلة).

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk